ثم اشتغل بما يقول ليس ينبغي هذا في صورة من رأى ما يعتري من يشاء النفس وتردد القلب فكيف
بمن يصرخ ويستغيث ويشتكو ويتأوه بالويل والثبور والصراخ من ربه على رؤوس الملا
ويتخذ له اعوانا واعداء فاجتراهم يتخطى مرة فكيف بمن هو في التسخط مع الله تعالى في جميع
عمره وهذا الذي شكا اليه فكيف من شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويجعلنا ممن ادابنا ويلهمنا بفضله حكمه انه ارحم الراحمين

فان قيل فما معنى الرضى بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه **فاعلم** ان علماءنا
قالوا ان الرضى ترك الشكوى والتسخط في ذي غير ما قضى الله بانه اولى به واصلح فيما لا يستبين
صلاحه وفساده هذا يشكل فيه فاعلم ذلك **فان قلت** اليس الشرور والمعاصي
بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد ذلك الشر ويلزمه **فاعلم** ان الرضى انما
يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون راضيا بالشر وقد قال
شيوخنا رحمهم الله ان المقضيات اربع نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضى
فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انه نعمة والخير يجب الرضى
فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير وفقه الله له
والشر يجب فيه الرضى بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث انه شر
وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما تقول ترضى بمذهب المخالف ان
يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضى والعبرة انما
يكون بالحقيقة للعلم بمذهب الغير المخالف لا بمذهبه فكذلك ههنا **فان قيل**
فالراضي هل يكون مستنصرا **قيل** لزمه بذلك الخير والصلاح دون الحكم فلا يخرج
ذلك عن الرضى بل لا بد على الرضى فهو اولى لان ما يحبه تشع ورضي ذلك الاستزاد منه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصبح اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره
يقول زدنا خيرا منه وفي موضع من القرآن فمن لم يدل انه غير راض بما قدر الله تعالى من ذلك
فاما قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الا الاستشفاء والاستسقاء
ونصلح **فاعلم** ان هذه الامور انما تكون بالقلب وانما يقال باللسان عبارة عن ذلك
فلا معتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك **العارض الرابع**
الشدائد والمصائب وانما كان بهذه الابتلاء فعليك بالصبر في المواطن
وانما ذلك لامرين **احدهما** الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان
مبنى العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها
بالحقيقة وذلك ان من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها فيجب ان تستقبله عوارض شتى
ومحن ومصائب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة والذي كان
كل هذه الذي يتعب فيه من الثواب عليه اذ لا ثبات من فعل العبادة الا يقمع النفس
والهوى اذ هي زاجرة عن الخير والرشد ومخالفة الهوى وفطام النفس من شهواتها الامر على
والنقصان **وثانيها** ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاعتبار لهمته لا يبصر
عليه والانقياد على العمل اشتهر من العمل **وثالثها** ان الدار دار محنة فمثلك كان حيث لا بد من
الابتلاء بشدائدها ومصائبها وذلك اقسام منها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان

والاصحاب

والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض
بقيل الناس وقالة والقدح فيه والازدراء به والغيبة له والكذب عليه وفي المال بالهلاك
ذهابه والزوال وقلة واصحابه من هذه المصائب لرغبة وحفظه من نوع واخرى يحتاج
الى الصبر عليها كلها والا فيفوته الجزع والتلهف من التضيع للعبادة **و**ايضا فان
مطالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصائب له في
الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد اما تنظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد الخير وتجرد لطلب
الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ويكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع
عن ذلك بها واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك **و**لقد اعلمنا الله سبحانه
بلقاء المحن والمصائب والابتلاء بها ومعنى ذلك والحال فقال تعالى لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم
من انواع البلاء فان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فاذا من عزم على عبادة
الله سبحانه يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة
المتوالية الى الموت والا فقصور الامر يعجبه التعدد واشتاله من غير وجهه **و**لقد
ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه
اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع
والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الواقع بعضها على بعض
والثاني من الامر فان في الصبر من خير الدنيا والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب معناه من يتق الله
بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد **و**منها الكفي على الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا
العاقبة للمتقين **و**منها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني اسرائيل بما صبروا **و**قد كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام ان
اباك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى **قيل**

لا تيأسن وان طالت مطالبة ... ان استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للابواب ان يلجا

ومنها التقدم على الناس والامامة قوله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
ومنها الثناء من الله تعالى قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب **و**منها
البشارة والصلاة والرحمة قال الله تعالى وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة الاية **و**منها المحبة من الله تعالى قال الله تعالى والله يحب
الصابرين **و**منها الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما
صبروا **و**منها الكرامة العظيمة قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
ومنها الثواب بلا غاية ولا نهاية خارج عن اوهام الخلق واعدادهم وتحصيلهم
قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سبيل ما اجمل اكرمه

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)